

الأقسام في القرآن

(75) والظاهر أنَّ الوجه الأول هو الأقوى، حيث إنَّ الحلف بالزمان وتاريخ البشرية يتناسب مع الجواب، أي خسران الإنسان في الحياة، كما سيوافيك بيانه. وأمَّا المقسم عليه، فهو قوله سبحانه : (إِنَّ سَعَى الْإِنْسَانِ لَفِي ضُيُوتٍ) والمراد من الخسران هو مضي أثنى شيء لديه وهو عمره، فالإنسان في كل لحظة يفقد رأس ماله بنحو لا يُعوَّض بشيء أبداً، وهذه هي سنة الحياة الدنيوية حيث ينصرم عمره ووجوده بالتدريج، كما تنصرم طاقاته إلى أن يهرم ويموت، فأى خسران أعظم من ذلك. وأمَّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه فأوضح من أن يخفى، لأنَّ حقيقة الزمان حقيقة متصرِّمة غير قارة، فهي تنقضي شيئاً فشيئاً، وهكذا الحال في عمر الإنسان فيخسر وينقص رأس ماله بالتدريج. ثمَّ إنَّه سبحانه استثنى من الخسران من آمن وعمل صالحاً وتواصى بالحق وتواصى بالصبر. ووجه الاستثناء واضح. لأنَّه بدّل رأس ماله بشيء أغلى وأثمن، يستطيع أن يقوم مقام عمره المنقضي فهو بإيمانه وعمله الصالح اشترى حياة دائمة، حافلة برضوانه سبحانه، ونعمه المادية والمعنوية. يقول سبحانه : (إِنَّ سَعَى الْإِنْسَانِ لَشَتَّى اشْتَرَى مِنَ الْإِيمَانِ وَالْمِنْهَانِ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ سَعَى لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَدِّعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

(1) 1 - التوبة: 111.